أين صوت الشيخ الزنداني ؟!.. لم أسمعه حتى الآن (!!)

تحدٍ أوروبي في الإساءة .. ورد إسلامي ضعيف في المقابل (!!)

سام عبد الله الغباري *

و كان الرد جاهزًا على إساءات الأوروبيين الجاهلية على أفضل الخلق وأكرمهم، محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم.. لقال الحمقى إنّ الإساءة لسيدنا عيسى عليه السلام ردًا أمثل لكن قيم الإسلام العظيمة لا تجعل المرء مؤمنًا ما لم يصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله.. ويبدو أنّ التحدي الأوروبي ماضٍ في غيه دون الانتباه إلى شعور المسلمين الذين لا يسجلون رقمًا ملتهبًا في المعادلة العالمية الساخنة بقدر اعتبارهم قطعان من البشر.. لا يرضى عنهم اليهود ولا النصارى حتى يتبعون ملّتهم.

الاعتبار الأوروبي الوحيد أنّ جهلهم بالدين الإسلامي وبحامل لوائه العظيم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.. هو مقياس رؤيتهم لأفاعيل وأباطيل كثير من الدُعاة الذين أرسلهم العالم الإسلامي بدءًا بفضيحة ملوك الطوائف في الأندلس الشماء الذين فشلوا في تقديم الصورة الإسلامية للمجتمعات الحضرية العصرية ومرورًا بالإرهابيين الملغمين الهاربين من جحيم حكومات العالم الإسلامي القمعية الوحشية إلى حرية الأديان العلمانية في البلاد الأوروبية وبدلاً من المكافأة لتلك المجتمعات التي تحترم الآخر كقاعدة لها استثناءاتها وشواذها بدأ العمل على تكفير المتجمعات الكافرة.. وصار الضيف جلادًا في حضرة المضيف.. وتكوّنت صورة غير حميدة للمسلم الحقيقي صنعها عدوّنا في الغرب الذي استفاد من إمكانات العصر وتدفق المعلومات الهائل ليصنع الصورة الخبيثة للإنسان المسلم.. انتهاءً بتكوين صورة سيئة للغاية عن سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي تعرض للإهانة المباشرة في مسابقة رسوم كاريكاتورية فجة أثارت غضب ملايين المسلمين ولم تهدأ وتيرتها إلى الآن.

التحدي الأوروبي مستمر.. وآخر ما قرأته أنّ صحفًا نمساوية أعادت نشر هذه القذارة على صفحاتها.. وكان الأمر أصبح عدوى مباشرة في الصحف الفرنسية والنيوزلندية والدنمركية والنرويجية والآن النمساوية وستأتي البقية.

تحد سافر لأننا لم نستطع أن نصيغ صورتنا كما ينبغي لنا على مدى عقود طويلة كنّا نتبارى فيها على استخدام الفتاوى في تحريم الصورة والصوت ووسائل الإعلام الحر التي أتقنها الآخرون وصنعوا بنا ما أرادوا وظللنا نحن نتصارع : هل توصيل الكهرباء إلى المساجد حلال أم حرام؟! ووقف البقية ثابتين في لعن الاشتراكية والعلمانية وتحريم حلق اللحى وما هو نكاح المسيار (والفريند) والنكاح بنية الطلاق ومدى جواز زواج المتعة؟!.. بينما وقف الغرب يبنون عالمهم (الأول) وصنّف الباقون إلى عوالم أدنى!!

ربما كنّا نملك أساليب أخرى وأمضى في الذود عن نبينا الحبيب بدلاً من إحراق مبنى، والصياح المزعج الذي لن يرد إلينا كرامتنا ويخضع المسيئين للاعتذار الصادق.

فما كان ينبغي لنا فعله أن تكون السعودية صاحبة القلب الديني للأمة الإسلامية قائدة لحملة رد عاصفة تبدأها بعقد مؤتمر إسلامي عالمي لقادة الدول ورؤساء حكوماتهم للبت في قرار مقاطعة المنتجات وفسخ كافة العقود المبرمة مع أي دولة يتطاول صعاليكها على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلّم مع الانتباه إلى تعويض التجار المتضررين من جراء هذه الإجراءات الحكومية، وتحفيز علماء الأمة الذين لا يخافون في الله لومة لائم.. على تهيئة الشعوب الإسلامية لترديد شعارات (الله أكبر، إلا محمد) على مدى الحملة التي لن تتوقف إلا عند إعلان القاذفين عن سوء نيتهم ومعرفة أي منقلب انقلبوا، أو عند الوصول إلى نتيجة مرضية للشعوب قبل الحكام، يرافق كل ذلك إستراتيجية إعلامية موجهة ودائمة نحو الغرب المسيحي والقول إنّ الإسلام ليس (أسامة بن لادن أو أبو حمزة المصري ومن على شاكلتهما فهم لا يشكلون شخصية النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ولا أفكاره.. ولا سماحة ما جاء به.) والدعوة الصادقة لتبني حوار حضارات لا يقع في مأزق المصالح المشتركة أو المتضادة.

قد يكون الرد الإسلامي في مجمله ضعيفًا وتهديدات اللجوء إلى منظمة التجارة العالمية أو غيرها ستكون فعالة بعد أشهر.. وسنرى في النهاية أن اختبار الإساءة إلى الرموز الدينية الإسلامية زائل أثره بعد حين ولو طال.. فالاحتقان الشعبي واضح لكنه يخضع لاحتقان الحكام قبلهم مثلما حدث مع سورية التي أوعزت إلى متظاهرين بإحراق سفارة الدنمرك لتوصيل رسائل سياسية إلى الغرب الأوروبي أهمها إننا غاضبون من صمتكم تجاه الضغوط الأمريكية المخيفة..!!!

والمعروف أكثر (أنّ سبّ الرسول) والعياذ بالله من ذلك.. عادة سمعتها من كثيرين من شباب الشام الذين لم ترتفع درجة حرارتهم لهذه العبارات القذرة.. إلا أنّها جاءت من دنمركي جاهل لا يستوعب حقيقة الدين الإسلامي البتة.

وأظن أنّ من المعيب أن يأمرنا حكامنا لفعل كذا وترك ذاك حتى عندما يتوقف الأمر على رمزنا الديني الأكبر.

الهوة تزداد اتساعًا.. ما بين تحد أوروبي يعتمد على مبدأ الحرية المفتوحة وغضب واحتقان إسلامي يعمق مشاعر الكراهية بين الغرب المسيحي والشرق المسلم ويصل مداه إلى تعميق التصادم الإنساني.. ما لم يقف العالم الإسلامي وقفة رجل واحد يراعي فيها أنّ المفهوم السيء عن النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلّم لا يشمل كثير من دعاة المحبة والسلام من مواطني أوروبا أو الغرب على وجه العموم.

ومن حسنات هذه الوقفة الإسلامية الموحدة تبني مشروع اقتراح فخامة الرئيس علي عبد الله صالح بالدعوة إلى استصدار قانون عالمي يحرم التطاول على الأنبياء والقديسين والصالحين في كل الأديان والمعتقدات العالمية، واحترام خيارات الأقلية فيما تعبد أو تقدس منطلقًا من ضرورات الخيارات الصعبة بمحاسبة كل المسيئين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

في النهاية أجد أننا أخطأنا بتقديم صورتنا الإسلامية وشوّهناها أمام كل العالم على مدى عقود طويلة، فلم يكلف داعية إسلامي واحد نفسه أن يوضح للغرب الفرق بين زير النساء وضرورات زواج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم من إحدى عشر امرأة، ولم يكرسوا أبدًا مبدأ الحب في القرآن بين الله عز وجل وخلقه المسلمين.. ولم يشددوا على مبدأ التسامح الديني وما مفهوم الآية الجليلة (.. فقاتلوهم حيث ثقفتموهم..) .. وكثير من الآيات القرآنية شديدة الصيغة وعميقة المفهوم وما جئنا به إلى الغرب لم يكن غير الرصاص ولغة التكفير.. انتهى بهم إلى الخطأ الجسيم في سب خاتم الأنبياء واستعداء مشاعر أكثر من مليار مسلم بمختلف طوائفهم وأجناسهم.. وماذا لو كان سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه أو مولانا الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام.. هو المقصود من السب الكاريكاتوري اللعين لما أمكننا تخيل ردة فعلهم(!!).

– سؤال يطل برأسه ويذكر الآخرين بشيعة إيران ولبنان الذين ضربوا مثلاً إسلاميًا راقيًا في تعاملهم مع أزمة الرسوم الأخيرة وردة فعلهم القوية تجاه نبي العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعكس الذين في العراق... وللقارئ المقارنة ومعرفة الفارق بنفسه(!!).

– أيضاً مع كل الأدب.. لم أسمع صوت الشيخ الزنداني الذي أجله وأقدره، ولم أميزه في ظل الأصوات المتعالية في كل العالم الإسلامي.. أم أنّ تهديدات الإدارة الأمريكية بالقبض عليه بتهمة الإرهاب.. أسكتته إلى حين؟! سؤال مع كل الحب. وعتاب مواطن لعالمٍ كبير كحضرته.

– نقف أخيرًا عند مفترق الطرق.. فما الذي يمكن لمسلمي العالم أن يختاروه.. أرجو أن لا تكون الاستكانة مع لعنات في الهواء.. هي الرد الأخير لنا!!

* كاتب يمني / نمار

الإخوان والأمريكان

تساؤلات حول مواقف ملتبسة

حسام تمام *
htammam@hotmail.com

هل نحن بإزاء تغير جذري في العلاقة بين الإخوان والأمريكان؟،،يبدو طرح هذا التساؤل ملحاً الآن كما لم يكن من قبل،،فالمؤشرات كلها تؤكد أن الطرف الأمريكي أعاد النظر في موقفه من الحركات الإسلامية التي تقبل بالعمل السياسي السلمي، وأنه تخلى عن ممانعته تجاه إدماجها في الأنظمة السياسية لبلادها حتى لو انتهي الأمر إلي توليها السلطة!،،

التقارير الصادرة عن مؤسسات قريبة من صانع القرار في أمريكا أو مساعدة له مثل مؤسسة راند أو كريسس جروب وغيرها تقول كذلك، وتصريحات ومواقف الإدارة الأمريكية في الفترة الأخيرة (الانتخابات المصرية مثلا) تؤكد ذلك وتدعمه،،ما بقي هو موقف الإسلاميين أو الإخوان تحديدا من الأمريكان وتصورهم لطبيعة العلاقة التي يمكن أن تنشأ بينهما مستقبلا،

***

أتصور أنه – وإلي الآن- ليس هناك تصور كامل لدى الإخوان إزاء هذا التحول التاريخي في العلاقة من قبل الأمريكان، كما ليس هناك قرار واضح وصريح في هذا الشأن،،غير أن كل الإشارات والإيماءات والكلام الساكت من قبل الجماعة يقول إن هناك تغيراً يرقى لمرتبة الانقلاب في تصور واستراتيجيه العلاقة مع أمريكا أذهب إلي أن هذا التحول بدأ بعد أحداث ١١ سبتمبر، وأن أول بوادره كانت في الموقف من الغزو الأمريكي في العراق، فالجماعة الإسلامية الأكبر والأهم والأوسع انتشارا في العالم لم يجاوز موقفها إعلان الرفض والإدانة والتظاهر ضد الغزو،،ثم التعايش مع آثاره وما جره على المنطقة دون أن ترى فيه ما يستدعي أي تغيير في استراتيجيتها تجاه القوة العظمى التي أعلنت المنطقة ميدانا لحرب واسعة لا ترضى فيها بأقل من تفكيكها وإعادة تركيبها على ما تحب وتهوى!

***

ثم جاء موقف الحزب الإسلامي – تنظيم الإخوان في العراق- ليخالف كل التوقعات حين كان أول قوة سنية تخالف الإجماع على خيار المقاومة المسلحة وتقبل بالمشاركة الكاملة والتامة في كل خطوات المشروع الأمريكي في العراق بدءً من رفض العمل المسلح، ومرورا بالمشاركة في مجلس الحكم الذي شكله ورأسه ممثل الاحتلال الأمريكي بول بريمر، وانتهاء بالدخول في مجمل العملية السياسية الخاضعة للإرادة الأمريكية على النقيض من رغبة مجمل القوى السنية وتحت نيران القصف الأمريكي

كان الأغرب من موقف الحزب الإسلامي موقف قيادة الجماعة في مصر التي امتنعت عن رفض أو حتى تفسير موقف فرعها في العراق ، فاكتفت بأن تصرح على لسان مرشدها السابق ومرشدها اللاحق – الهضيبي فعاكف- بأن الحزب الإسلامي هو أهل مكة ، وأهل مكة أدري بشعابه .

كم تر الجماعة في مكة أهلاً إلا جماعة الحزب الذي يفتقد لأي وجود مقدر دون بقية أهل السنة ، ولم تجد ما تقوله في هذا الانقلاب التاريخي في قضية استراتيجية بالغة الأهمية كالعلاقة بالأمريكان سوى أن تركت الأمر كله لممثليها يديرونه كما شاءوا وكيفما تراءت لهم صورة المشهد السياسي، دون أي حديث عن ضرورة استشارة الجماعة الأم والتنظيم العالمي، أو الحديث عن مدي أحقيته في نقد وتصويب فروعه القطرية في مسألة كهذه وفي ظل سياسات مرفوضة ومنتقدة من بقية ناشطي الحركة الإسلامية في العراق وما جاورها.

***

على حدود العراق لم يكن الموقف أقل التباسا مع الإخوان السوريين الذين انفردوا بما لم يسبقهم إليهم تنظيم يرفع الراية الإسلامية،،فتطابقت استراتيجيتهم من سوريا – تماما- مع الاستراتيجية الأمريكية بدءاً من الدعوة إلي معاقبة النظام ثم الدعوة إلي العمل على تغييره ،،ونهاية بالإعلان عن القبول بالعمل على إسقاط النظام والتوحد ضمن صفوف المعارضة المدعومة من أمريكا، ولم يجد الإخوان السوريون غضاضة من العمل تحت قيادة عبد الحليم خدام عدو الأمس القريب الذي انتقل من صفوف النظام ، إلى المعارضة بصفقة أمريكية.!

مرة أخري لم نسمع ولو تعليقا من القيادة الأم في مصر خاصة في أمر جلل لا يمكن أن نسمع فيه كلاما عن أهل مكة الذين هم أدرى من غيرهم بشئونها،،فالإستراتيجية الأمريكية لا تتعلق بقطر بعينه بل بالمنطقة بأكملها وإعلان الموقف منها ليس من نافلة القول أو مما يسكت عنه في منطقة بصدد إعادة تغيير معالمها تماما ومن جماعة بوزن وقوة وانتشار وتأثير الإخوان المسلمين،

***

أما إذا انتقلنا إلي مصر فربما لن نجد مثل هذه المواقف المباشرة والصريحة في دلالتها على اختلال ميزان التصورات تجاه المشروع الأمريكي،،ربما بسبب الدور الريادي لمصر- دولة وإسلاميين وشعبا- فيما يخص قضايا الأمة الاستراتيجية وربما بسبب ميراث الدولة القديم الذي لا يمكن تجاوزه من أي قوة سياسية مهما بلغت، وربما لطبيعة المشروع الإسلامي السياسي الذي بني مجده وحضوره على المواجهة مع المشروع الأمريكي وفي القلب منه إسرائيل .

ولكننا نلحظ رغم ذلك مؤشرات تؤكد إذا ما اجتمعت في قراءة واحدة أن ثمة " تسونامي " استراتيجي ضرب بوصلة الوعي في سفينة الإخوان المسلمين وجعلها تتجه إلي غير القبلة التي طالما اتجهت لها، وهو يوشك أن يوقعها فيما لا يحمد عقباه،

لن أتحدث عن رد الفعل السلبي والباهت تجاه تنظيمات إخوانية أخرى- في العراق وسوريا – خرقت الإجماع الإسلامي، ولن أتحدث عن تراجع روح المقاومة في الخطاب الإخواني تجاه أمريكا ومشروعها في المنطقة بعدما تقلص إلي الحد الأدنى من الإدانة والشجب والاستنكار الذي قد يقبل من أحزاب الأنابيب وتنظيمات الشقق المفروشة ولا يقبل من كبرى الحركات الإسلامية في عالم اليوم،،وإنما سأتحدث عن وقائع وإشارات محددة تحتاج لتفسير وإيضاح من الجماعة التي لا تملك ترف السكوت إزاءها،،

***

في أثناء أجواء الانتخابات البرلمانية الساخنة والرغبة المحمومة في خوض نضال سياسي يقهر سلطات الاستبداد دون أن يقع في حبائل التوسل بأمريكا ينشر المهندس خيرت الشاطر نائب المرشد العام للإخوان مقالا في صحيفة الجارديان البريطانية موجها خطابه إلي الغرب قائلا: لا تخافوا منا!!

ما فعله الشاطر كان بالغ الغرابة في ضوء معطيات كثيرة في مقدمتها أنها المرة الأولي التي يكتب فيها مقالا فيما أعرف، فهو – إلي وقت قريب – رجل تنظيمي بحت لم يكن ممن اعتادوا الظهور إعلاميا والاشتباك في مثل هذه القضايا، كما أنه لم ينشر مقالته في صحيفة مصرية أو عربية، وهو فيها لا يشرح أو يفسر أو يبشر بمشروعه أو حتى يهدأ مخاوف فرقاء المشهد السياسي داخل الوطن أو حتى في المشروع الإسلامي بل يتوجه إلي الغرب، وأخشى أنها صارت اللفظة المهذبة للأمريكان!

***

قبلها بشهور نشرت بعض الصحف المصرية – وهي للحق من الصحف المتربصة بالإخوان- تقول إن أحد أبناء رئيس الكتلة الإخوانية في البرلمان السابق- محمد مرسي- اعترض على اعتقال قوات الأمن له وطالب بحضور السفير الأمريكي للتحقيقات باعتباره يحمل الجنسية الأمريكية،،لا أعرف مدي صحة ذلك خاصة وأن هناك من لا يتورع عن إلصاق الأكاذيب بالإخوان للنيل منهم بالحق والباطل،،لكن ما أقلقني من الموضوع إضافة إلي احتمال صحته لعدم تكذيبه أن يمر الأمر مرور الكرام ولا تعقب عليه الجماعة رغم أننا في أحوج ما نكون إلي الحفاظ على حركة الإصلاح بعيدا عن التدخل أو استدعاء الخارج! وكأن الأمر لا يستحق من الجماعة مجرد إيضاح رغم أن دلالاته بالغة الخطورة،

***

توسعت ماكينة التصريحات الإخوانية من دون رابط لتدخل في مساحات وتشتبك مع أسئلة ليست هي المطروحة داخليا أو مما يعانيه المواطن المصري وكان من أخطرها التصريح الغريب الذي أدلي به الدكتور عصام العريان يعلن فيه قبول الإخوان بحزب مسيحي في مصر!! فهذا الأمر لم يكن يوما مطروحا في مصر أو له أولوية في الأجندة الداخلية حتى لدي الأقباط أنفسهم،،وأخشى القول أن الموضوع برمته لا محل له من الإعراب إلا خارج مصر !!

***

ثم كانت الطامة الكبرى مع ما قاله المرشد العام ومر مرور الكرام ولم تعلق عليه الجماعة أو تعقب،،فقد صرح فضيلته لوكالة أنباء الاسوشيتد برس الأمريكية (لاحظ جنسيتها!) حين سأله مراسلها عن إسرائيل : إن الإخوان ملتزمون بكل الاتفاقيات الدولية وبما فيها الاتفاقات مع إسرائيل !!

ما قاله المرشد لم يكن موجهها بالتأكيد إلي الداخل أو جماهير الشعب المصري التي أزعم أنها أكثر تشددا في المسالة الإسرائيلية من أكثر قيادة سياسية تشددا في مصر، لعل المرشد العام بهذا التصريح الغريب كان القيادة السياسية الوحيدة – على الأقل في المعارضة- التي أعطت لإسرائيل صك الاعتراف المجاني هذا، بل نعرف أن هناك قيادات سياسية داخل النظام لم تقبل بهذه الاتفاقات إلا مرغمة ولولا الضغوط والتوازنات الدولية لما قبلوا بها أو باستمرارها، ولا أعرف ماذا أكل المرشد من إسرائيل أو غيرها ليشرب عليه! فهو وجماعته خارج السلطة، وحين أدلي بهذا التصريح لم يكن يقف على عتبات القصر الجمهوري ينتظر أداء قسم اليمين لتشكيل الحكومة الجديدة ومن غير المنتظر أن يتم ذلك على الأقل في الأجل القريب،،لماذا يقدم فضيلته تنازلات مجانية وسهلة في قضية بالغة الخطورة كهذه؟ أليس من حقنا أن نتساءل عما ينتظرنا في القضايا الأخرى إذا كانت ستعالج على غرار قضية إسرائيل؟

سألت أكثر من قيادة إخوانية عن هذا التصريح الذي لا سابق له فتعلل البعض باحتمال (لاحظ احتمال!) وجود تحريف في التصريح ذهب به لوجهة غير صحيحة،،لكن الذي حدث له دلالة بالغة الخطورة ؛ فالقضايا المصيرية تحسم بمجرد تصريحات، وإذا طاشت إلي غير الوجهة السديدة لا يكلف المرشد نفسه أو الجماعة عناء التصويب والتأكيد مجددا على استراتيجية الجماعة ومبادئها،،أخشي أن طريقة النفي الذي يتواري خجلا ويفتقد الوضوح والجسم ليس إلا قنبلة دخان للتعمية على الدلالات المرعبة لهذا التصريح الذي كان يفترض انقلابا على التساهل والتباسط في مثل هذه الأمور: بتصريح مختصر فيه الشفا! ،

يقلقني كثيرا شعوري والكثيرين أن الرؤية الاستراتيجية لجماعة الإخوان قد اهتزت أو ربما أصابها الغبش فجعل البعض يظنون أن الطريق إلى المشروع الإسلامي السياسي ، يحتاج أن يمهر بتأشيرة أمريكية أو يلزمه المرور عبر البيت الأبيض،،أرجو أن أكون مخطئا أو أن يكون كلامي قراءة غير دقيقة لخيارات الإخوان، لأنه لو صح ما أراه فإننا سنكون بإزاء كارثة تتمثل في أن أكبر جماعة إسلامية فقدت بوصلة الحركة واختلط عليها الطريق،

وأخيرا أقول ليس من همي نقد الإخوان أو الإساءة إليهم بل أؤكد أن ما كتبته هو حرص عليها وعلى المشروع الإسلامي السياسي ، ومحاولة لوضع الإخوان أمام مسئولياتهم التاريخية أما الأمة وأمام التاريخ، وأرجو أن أسمع أو أري ما يصحح وجهة نظري وساعتها سأكون أول من يعلنه ويؤكد عليه.

* كاتب سوري

الإسلاميون في سدة الحكم

محمد البدري *

ترويج الخرافة لم يدرج بعد في استحقاق اقامة الدعوي الجنائية علي مروجها. ولن يوافق العقل العربي علي قانون يجرم الكذب، ولو كنا في زمن العلم والمعرفة، أو في أي زمن آخر. فجينات العقل العربي مرتبة علي كروموزوم الجهل. ألم يبزغ ذلك العقل من خضم الجاهلية؟ سياسيا نجح العقل العربي بجدارة في تاكيد هويته. فعلي مدي نصف قرن ناطح دولاً وحكومات وانظمة وجيوش وفلسفات. في كل معركة كان هو الخاسر. ثم يحتفل بكل صلافة بالانتصار. فماذا لو ان عقل الاخوان ذو المرجعية الدينية والاسلامية قرر ان يدخل الحلبة كتبادل الزملاء الادوار في المصارعة الحرة؟ هكذا دخل الاخوان في مصر وحماس في فلسطين ساحة الحكم والسلطة. اليست العروبة والاسلام وجهين لعملة واحدة، اليس بنو هاشم وبنو امية شركاء في الدعوة. إعادة عقارب الساعة الي الوراء سيكون منهج اللاعبين الاسلاميين، ولن تبتعد نتائجهم عن نتائج العروبين.

في جعبتهم الحديث " لن ينصلح حال الامة الا بما صلح به اولها". ولن اضيع الوقت في البحث في العنعنات وعن صدقية الحديث. فالواقع المتدني جاهز بتخلفه ليصدق كل شئ. درس الخمسون عاما يجعلنا نؤجل عملية الفهم إلي اشعار آخر او نبوة جديدة أو تدخل امريكي. فالمرجعية العربية/الاسلامية لا هدف لها الا طمس كيمياء الفهم داخل العقل. والحماية التي يمكن ان نوفرها لانفسنا من مفاسدهما ليس في القول والتحذير من مغبة تركهم يخربون باسم الصلاح والتقوي والعودة الي حظائر الايمان أو بالامة الواحدة إنما بقراءة جديدة صحيحة لتاريخهم وقراءة صادقة وعلمية لتاريخ الاسلام كما حدثت وليس كما يوهمنا بها فقهاء السلاطين وكتاب السلطة.

فالاسلام وطوال تاريخه كان اكثر من اسلام طبقا للارض التي حل بها، فلا يوجد اسلام تقليدي وآخر منحرف وثالث تقدمي ورابع رجعي، انما اسلام تم تشكيلة ليتناسب مع طبيعة كل مجتمع ومزاجية وذهنية مكتسبيه من ثقافات هي سابقة عليه. فبصمة الجاهلية هناك، وبصمة التسامح هنا. ولم يجمع كل هذه المجتمعات الا البقاء داخل حظائر الايمان مع التخلف والتسليم بالهزيمة. وكانت الحروب ومعارك المسلمين هي ستار الدخان حيث توارت العقلانية وحرية الفرد وخياراته وراء تامين الدعوة. فالاسلام الذي عرفته مصر مثلا، وليس كما هو الان، هو مكتسب ثقافي اصبح ضمن روافد الثقافة الحالية وكان افضل اسلام مقارنة بباقي العوالم الاسلامية لان مصر اخذته ووضعته في مكانه الصحيح وابقت الاهم والاجدي، العرق والطين. والاسلام في مصر وفي غيرها من البلاد مثله مثل اللغة تم تعرضه لعوامل متعددة كالاسقاط والتبديل والاختيار والاستبعاد والتفضيل والترجيح لمحتواه و محموله الديني والاجتماعي والاقتصادي. وهو امر طبيعي ولا غبار علي اصحابه من ممارسته لانه بات ملكا لاصحابه في كل وطن حل به.

مجددا وفي زمن فيتامينات اموال النفط والمنشطات الغرائزية للافكار الدينية تولت نفس الجماعات الحاملة للعقل العربي اياه، علي نفسها عاتق التناطح والحرب في جولة جديدة تاكيدا وتصديقا لفكرة هانتجتون في صراع الحضارات. انه اختبار جديد وحقيقي للاسلام السياسي الحالي وهو يقع علي عاتق حماس والاخوان المسلمين. والنتيجة اما ستكون في صالح اليهودية او الاسلام، باعتبار ان حماس وجماعات الاسلام السياسي يفضلون التسمية الدينية لاطراف الصراع. لهذا سعدت ايما سعادة بوصول حماس في الانتخابات ولم اكن بنفس الغبطة في حال الاخوان. فمعركة الاخوان اقل درجة رغم كون اجندة الاخوان هي ايضا اجندة حماسية. لكنها تخلو من احتلال ارض انما فساد وتنمية وبطالة وتخلف عن الحداثة والديموقراطية، أي معظم الموروث الاسلامي. ومع ذلك فإن معركة الاخوان أصعب الف مرة من معركة حماس لبقائهما في خانة كيمياء طمس الفهم مع فارق هام هو نفسه الفارق التاريخي القديم في فجر الاسلام. فحماس ستهلل نصرا وابتهاجا بكل عملية انتحارية، فمقاتليها شهداء. وستولول علي كل هزيمة باعتبار ان رجالها تركوا مواقعهم علي جبل احد ولم يلتزموا بالتعليمات. فمعارك الخارج ونتائجها ستكون سحابات الدخان لاخفاء الفساد الداخلي او اللاعقلانية المطروحة. وهو ما تفتقده حركة الاخوان المسلمين.

فكما كان الاتحاد الاشتراكي فاسدا ولم يدرك احد الكارثة لانه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، ستجري الامور في غزه. فيعود المجاهدون او الثوار او قبيلة المؤمنين من غزواتهم فرحين بالنصر طالما انهم لم يعطوا الدنية من دينهم وما زالوا علي قلب رجل واحد حتي ولو وصل الشعب الفلسطيني إلي درك الحضيض فقرا وتخلفا. وعلي الجانب اليهودي فان بني قريظة الجدد في تل ابيب والاكثر ذكاءا وعلما ومعرفة واشد حنكة سيصرخون بانهم ضحايا رغم ان الدخل السنوي للدولة و للمواطن الاسرائيلي في ازدياد.

كل من اقام مجتمعا اسلاميا أعاد عقارب الساعة الي الوراء التي هي سنة اسلامية باعتبار السلف هم من يجب تقليدهم. وليس مجرد فوز ٨٨ عضو من الجماعة هو انتصار لهم وترويجا لبداية مسيرة الالف ميل التي تبدأ من مجلس الشعب انما التوظيف لهم مثل وعيا للتمترس في مواجهة الضغوط الخارجية أي ترويجا لمدي ما يمكن ان يذهب اليه المجتمع من فوضي لو ان خطر الضغوط الغربية استمر لمن عليه الدور.

والاخوان جاؤوا ايضا لكبح جماح حركة المطالبة باصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية حقيقية وسليمة دون فوضي وخراب. فالجماعة تقوم بالخدمات والتوصيل للمنازل واصبحت جماعة وظيفية لها دور وليس مجرد قوي سياسية تعبر عن مصالح طبقة ناشئة اللهم الا البيروقراطية المصرية التي تعودت علي قصعة الفته المجاني فيما يسمي بالقطاع العام واكل الاصول والتعيش علي ما هو قائم دون أي تجديد واحلال. انهم المعبرين الحقيقيين عن الطفيلية المصرية التي استشرت في حياتنا. ولا معني لوجودها في مجلس تشريعي سوي تقنين شرعي لكل ما هو فاسد ويستحق تحويل ملفاته الي القضاء والنيابة. ولتبديد ستار الدخان الاخواني، الممثل في شعار الاسلام هو الحل، نسال بدورنا: هل سيفلت الاخوان من مرجعية نص ديني او فقهي يقول بمساواه المصريين جميعا دون تمييز علي اساس الدين؟. وإذا كان " فرق تسد " مبدأ استعماري، فما موضع مسالة التفرقة علي الكفر والايمان، او اختلاف الاديان؟

وما تلك الهوية التي اسس لها حسن البنا في عشرينات القرن العشرين، في مناخ توحد فيه المصريون من اجل دستور واستقلال؟ وقتها ادرك المصريون ان الوطن قبل الدين وان العقل قبل الايمان. الدين وقتها لم يكن في خطر بقدر ما كانوا هم وفلاسفتهم ونصوصهم في خطر، فاي هوية إذن دافع عنها الاخوان خارج الاجماع الوطني العارم؟ والاكثر غرابة ان تكون ممارسة الجماعة طوال تاريخها ينم عن رؤية تآمرية تعطي انطباعا كما لو انهم جماعة سرية تجتمع في بيت احدهم وتهاجر إذا لزمت الهجرة وتغتال إذا لزم الامر وتتحالف او تتواطأ مع قوي الرجعية وتعادي وتتنكر لقوى اليسار وتنعت بالكفر. ولا دليل علي تلك الممارسة الا بانهم احتووا عسكر يولية وضللوا الجميع. ولم ينكشف المستور الا عندما وقع المحظور. كما يقول المثل الشعبي " ما شافهومش وهم بيسرقوا شافوهم وهما بيقسموا " فعندما وقعت الواقعة وانفردوا بالحكم بعد تصفيات متدرجة للاحزاب وقوي المجتمع باسلوب العنف الذي لم تستنكره الجماعة. وعندما باتت الغنيمة جاهزة للتقسيم في العام ١٩٥٤ الشهير، انقضوا علي بعضهم البعض فتكا واغتيالا وشنقا وتنكيلا.

فماذا يعني الاسلام اليوم اللهم الا الحجاب ومعة انتاجية رديئة وبيروقراطية طفيلية وزيادة مفرطة سجودا وركوعا التي هي امر خاص بالفرد ولا علاقة له بالسلوك العام مع ظهور ازياء منفرة تنم عن ارتداد حضاري واضح وذوق منحط في اغلبه واختفاء لقدرات العقل عن فهم ما يجري في بلاد اكثر اسلاما من مصر وبلاد اخري لا اسلام فيها إطلاقا.

ويحلوا للبعض القول بان حركة الاخوان راكمت تجارب وخبرات ادت الي وجود مسافة فاصلة بينها وبين السلفية الراديكالية هو في حاجة الي تحليل لخطابهم في السنوات القليلة الماضية. واكثرها فجاجة وعدوانية هو قول مصطفي مشهور مستعيدا فكرة الجزية التي علي غير المسلم دفعها للمسلم من اجل بقائه حيا.

ولا يمكن فهم السكوت عن مثل هذا الامر وعدم ترديده في الفترة الاخيرة الا كنوع من التحالفات التي عودنا عليها الاخوان قديما وحديثا. فما زال قادتهم يقولون بان تطبيق الشريعة مؤجل. فمن اجل تمرريرهم الي مجلس الشعب وحصولهم علي هذا القدر الكبير من المقاعد كان لا بد من مكياج لخطابهم الاسلامي الذي لا يمكنه ابطال نص ديني واضح في جباية الجزية. فالمرجعية التي يتماهون خلفها، ويحتموا ويدغدغوا البسطاء بها حتمت عليهم السكوت مؤقتا عنها وعن كثير مثلها كموضوع الردة والجلد وقطع اليد وكل تلك الممارسات التي بالقطع لم يقولوا بصراحة ووضوح رأيهم فيها. نواياهم الحقيقية تتفق ومصعب الزرقاوي وجماعات القتل فاقاموا صلاة الخوف في اول جلسة برلمانية وكانهم في حرب حيث يراقب نصفهم العدو تحت قبة البرلمان بينما النصف الاخر يقضي صلاة الظهر في اروقتة. فمن كان العدو إذن، اللهم الا باقي ممثلي الشعب واعضاء الحكومة.

* كاتب مصري

تكفير ناشطات سوريات عبر منابر المساجد

دمشق / متابعات

نقلت وكالة "يونايتد برس انترناشونال" في دمشق عن ناشطات سوريات إنهن أوقفن نشاطهن الساعي لتغيير بعض القوانين المجحفة بحق النساء بعد أن هاجمهم رجال دين من على منابر المساجد.

وقالت ناشطة في مجال حقوق المرأة رفضت الكشف عن اسمها إن جمعية أهلية تعنى بشؤون النساء طرحت في المدة الأخيرة استبيانا لمعرفة رأي الشارع في عدد من القضايا تسعى الناشطات إلى تغييرها وخصوصا في قوانين الأحوال الشخصية التي تعتبر مجحفة بحق المرأة " فجاء رد الفعل من بعض الشيوخ المتزمتين عنيفا".

وأضافت الناشطة "فوجئنا بأن بعض الشيوخ كفّرونا من على منابر المساجد خلال خطبة يوم الجمعة ووصفونا بالساقطات والخارجات عن حدود الله ،حتى أن رئيسة الجمعية ندى العلي أهدر دمها فاضطررنا إلى وقف الاستبيان".

ويطرح الاستطلاع الذي حصلت يونايتد برس انترناشونال على نسخة منه "رأي الرجل والمرأة في عدد من الأمور التي تخص المرأة ومنها المادة ١١٧ التي أعطت الرجل حق الطلاق منفردا دون إعلام المرأة بشكل مسبق بذلك وعن "حق المرأة في تعويض يتناسب مع ما أنتجه الزوجان خلال سنوات الزواج" و"حق المرأة المطلقة التي لا دخل لها في تعويض دائم" و"حقها في المخالعة بدون موافقة الزوج" و"حق الزوج الزواج من أخريات دون إعلام الزوجة بذلك".

كما طرح الاستبيان الرأي "بصدد المساواة بين المرأة والرجل في الإرث " و"الرأي في جرائم الشرف وإسقاط العقوبة عن الفاعل حين يكون رجلا" وعن "حق المرأة في إعطاء جنسيتها لطفلها كما هو حال الرجل".

من جانبه قال مفتي الجمهورية السورية الشيخ أحمد حسون ليونايتد برس انترناشونال إن نساء الجمعية قمن بزيارته وأجابهم على الإستبيان خطياً. وحول موقف بعض المشايخ من هذا التحرك النسائي قال المفتي حسون " إن بعضهم لم يستوعب مثل هذه الأمور واعتبروها تجاوزات فوقفوا منها وقفة المشكك".

وأضاف "كنت أتمنى أن لا يقف المشايخ هذا الموقف بل أن يحاوروا النساء ،لأن للإسلام موقف دائم مع حقوق المرأة،بل أعطاها حقوقاً متميزة ..لكن علينا إعادة صياغة هذه الحقوق".

وقالت رياض السالم مدرسة اللغة العربية العضو في جمعية المبادرة الاجتماعية الأهلية المرخصة إن "الجمعية تبحث في الغبن الذي تتعرض له المرأة بعيدا عن روح الإسلام والعدالة وحقوق الإنسان"، مشيرة إلى أن "الجمعية تعتمد على مراجع دينية متنورة".وضربت السالم مثلا على هذا الغبن أن "القانون لا يجيز للمر